شخصيات أدبية

محمد الهراوى

دار الكتب والوثائق القومية

محمد الهراوى

شاعر الأطفال

(١٨٨٥م - ١٩٣٩م)

أ.مها حسنين سليمان

يعد محمد الهراوى رائدًا من رواد شعر الأطفال فهو إنسان مصرى بحق، أحب مصر وتغنى بها، وأحب أطفال مصر، فقدم لهم دواوينه الأصيلة التى لم يلجأ فيها لا للنقل ولا للاقتباس، بل كان مبدعًا ومبتكرًا فهو من مشاهير أدباء القرن العشرين، وهو رائد مرحلة التأليف المستقل، والتنوع الفنى فى شعر الأطفال عن الفترة الزمنية التى شهدت التخصص الفنى (بداية العقد الثالث من القرن الحالى إلى وقتنا الحاضر)، ففى عام ١٩٣٠ بدأ يظهر مصطلح أدبيات الطفل فى الدوريات العربية فى عناوين المقالات، وبين ثناياها ظهرت ملامح تأصيل جنس أدبى للطفل، وقبل هذا التاريخ كانت كتب الأطفال تقتصر اقتصارًا – يكاد يكون تامًا – على الأغراض التعليمية التى تهتم بالمحصول اللغوى، وتدعو إلى القيم والآداب الحميدة – وقد نوه إلى ريادة نهضته التأليفية د. زكى مبارك، فقال : "أشهر المؤلفين فى هذا الباب رجلان : محمد الهراوى، وكامل الكيلانى وهما بعيدان عن التدريس، وبدأ يستحوذ على اهتمام التربويين الشروط الواجب توافرها فى الكتب الموجهة للصغار، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون، محاولة منهم فى أن يدفعوا كتاب الطفل إلى تقديم الأفضل، يعد تراث الهراوى قيمة تربوية وعلمية وفنية مهمة فى مجال الطفولة فقد أصدر خمسة وعشرين عملاً شعريًا راعى فيها أعمار الصغار وأجناسهم، وطاف فيها بين كثير من مجالات الطفولة آخذًا بيد أبنائه وبناته يعرفهم على كل شىء من حولهم بهدف غرس القيم الدينية والاجتماعية والخلقية المختلفة إلى جانب المعرفة والجمال والموسيقى جميعًا.

مولده ونشأته

ولد محمد الهراوى فى محافظة الشرقية عام ١٨٨٥م ، وتعلم فى القاهرة، ثم فى الإسكندرية – عمل فى وزارة المعارف ونقل إلى دار الكتب، والهراوى من أسرة علم وأدب كبيرة ... فقد ورث ملكة الشعر عن جده كبير علماء مصر فى عهد محمد على باشا... ثم تعهد هذه الملكة بالرعاية والتنمية خاله الشيخ محمد شريف سليم الذى كان فى زمانه كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف وناظر دار العلوم، وتلقى الهراوى تعليمه العام، وتعلم الفرنسية والإنجليزية إلى جانب علوم العربية، ثم التحق بعمل فى دار الكتب المصرية فى قسم الحسابات والمستخدمين، وكانت دار الكتب تتبع وزارة المعارف .. كما كانت ملتقى لكثير من الأدباء والكتاب؛ مما جعل الشاعر يقترب من قلب الحركة الأدبية، وكان مكتبه منتدى للأدباء والشعراء بل كانوا يطلقون على دار الكتب دار الهراوى، وفى حى الحلمية القديم كانت ندوة الأدباء والشعراء فى مقهى الحلمية (العالمية) أحد المقاهى المشهورة فى عصره، والتى كانت تضم صفوة كبيرة من الشعراء والأدباء، كان الهراوى عضوًا بارزًا فيها.

وحينما نتابع إنتاجه الشعرى للأطفال نجده – بذكاء وقصد – استطاع أن يستفيد من عمله فى دار الكتب – خاصة إمكانية التصنيف والترتيب والدقة فى العمل – فقسم إبداعه إلى مراحل ثلاث : رياض الأطفال، والتعليم الأولى، والمرحلة الابتدائية، وقدم لكل مرحلة من هذه المراحل ما يلائمها من الأناشيد والأشعار؛ وبهذا أمكنه أن يطوع عمله إلى إمكاناته الفنية وللهراوى شعر كثير منشور فى الصحف والمجلات ما يكفى ديوانين، لكنه لم يُجمع إلى اليوم اللهم إلا ذلك اللون من الشعر الذى خصصه للأطفال، وقد تلقفت وزارة المعارف أعمال الهراوى التى صدرت له فى مجال الأطفال، وقررتها على التلاميذ فى مدارسها المختلفة وفى مراحل التعليم الأولى والتعليم الابتدائى.

ظواهر فنية فى شعر الطفولة لمحمد الهراوى

من يقرأ شعر الهراوى للأطفال يمكنه فى بساطة أن يتبين خصائص شعره الفنية، والتى يمكن أن نجملها فيما يلى :

- التنوع فى الأغراض التى تناولها الشاعر، مما يدل على ابتكار وتجديد وحسن إحاطة بعالم الطفولة بمراحلها المتتالية.
- غزارة الإنتاج الشعرى للأطفال : أودع الشاعر محمد الهراوى مكتبة الأطفال أغزر وأهم نتاج إلى وقتنا الحاضر من حيث الكم وربما الكيف، فطبعت دواوينه لمراحل الطفولة المختلفة، وهى على ترتيب إصدارها : السمير الصغير، سمير الأطفال للبنين (٣أجزاء)، سمير الأطفال للبنات (٣أجزاء)، الطفل الجديد، كذلك كتب الروايات التمثيلية الغنائية للطفل. وفى أخريات حياته طبع عام ١٩٣٧م ديوان "ألف باء" على مطبعة المعارف، وأتبعه بديوان "أنباء الرسل للأطفال"، بالإضافة إلى مخطوطات أخرى أشار إليها محقق إنتاجه الشاعر أحمد سويلم، والكاتب عبدالتواب يوسف.

- ثبات لغة الأداء الشعرى : فلم ينزل إلى درك من الإسفاف اللغوى أو الاستعمال الشعبى باللغة الدارجة فى سائر منظوماته، ولم يصعد إلى علياء اللغة ، فلغة الشاعر فصحى مبسطة، سلسة سليمة.

- بث وإعلاء قيم الحضارة العربية والإسلامية إلى نفوس الصغار : ومن أهم القيم التى أكد عليها الشاعر فى دواوينه قيم : العقيدة، والوطنية، والعلم، والنظام، والإيمان، والحب، والانتماء، والطاعة، وغيرها من القيم الإيجابية.

- وعى الشاعر المبكر بفلسفة أدبيات الطفل فى مراحل نموه المبكرة : فطبع ديوان الصغير على هيئة كتيب صغير فى حجم الكف بحيث تلازم كل أغنية أو منظومة صورة ملونة فالطفل يتذوق المحسوس حتى ينتقل إلى التجريد (بالكلمة أو الصورة).

- استخدام الشاعر للبحور القصيرة المجزوءة.

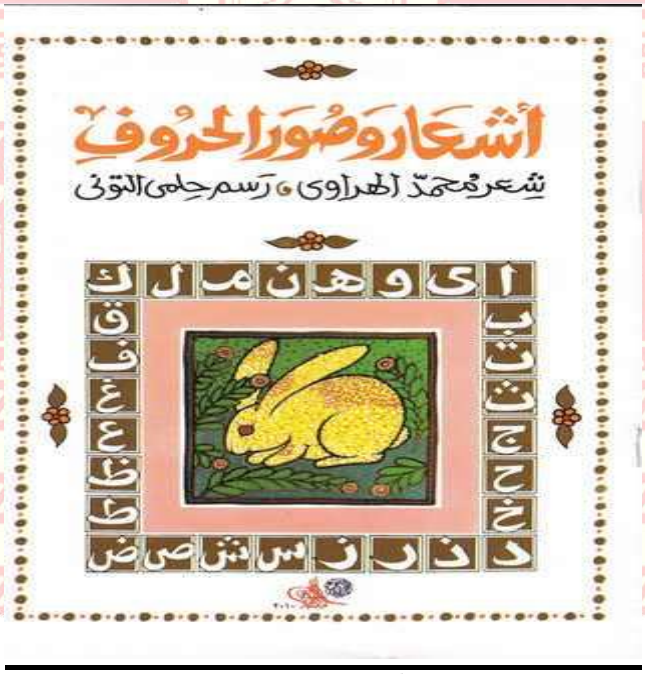

نماذج من شعر الهراوى

أولاً : أغانى توقيعية للأطفال

أنشودة لعب الكرة

أنت الكرة كالسكرة — هذى يدى هيا اصعدى

دورى هنا عندى أنا — عنى خذى وبى احتذى

حدى إلى نيل العلا — صونى الفما أن يشتما

لا تلعبى فى المكتب — لا تهملى فى المنزل

كرتى اسمعى قولى معى مصر اسلمى مصر اغنمى

يا أمنـــا نلـت المنـــى يحيا الوطن طول

الزمن سامى العلم بين الأمم

ثانيًا : أناشيد الطفولة والأعياد

الله جل شأنه له الصفات الباقية رب السماء والأراضى والمياه الجارية

وربك الذى حباك نعمة وعافية يسمع ما تقوله فى السر والعلانية

ويبصر النملة فى جنح الليالى الداجية مقتدر ذو رحمة وآخذ بالناصية

فخف من الله الذى يعلم كل خافية

ثالثًا : قصائد وصفية

تحية يا دارى تحية الإكبار آوى إليك كلما يطيب لى قرارى

ما بين أمى وأبى وإخوتى الأبرار فيا مهاد راحتى من عمل النهار

وملتقى أحبتى وصحبتى الأخيار ومكتبى وملعبى بك أخ وجار

يا وطنى مصغرًا ووطنى فخارى فى القلب أنت صورة دائمة التذكار

رابعًا : السلوكيات

الترتيب والنظام

إن الذى يرتب متاعه لا يتعب فكل شئ عنده فى موضع أعده

متى يعد إليه يجده فى يديه من غير بحث يجهده ولا زمان يفقده

حسن نظام العمل يضمن نيل الأمل

إلى جانب الأقاصيص الشعرية، والأناشيد المهنية، والقصص الدينى، والروايات التمثيلية، ومسرح الأطفال.

وفاته

وهكذا استطاع الهراوى أن يصل بالشعر والأدب بصفة عامة إلى مستوى السمو والتأثير فى وجدان القارئ، فجاءت أشعاره وأناشيده موجزة قصيرة تحقق الإفادة للقارئ (المتعجل) – الطفل.
ولم يسعف القدر شاعرنا أن يستمر فى رسالته أكثر من ذلك حيث اختطفه الموت فى الرابع والعشرين من فبراير عام ١٩٣٩عن أربعة وخمسين عامًا فقط.